

مقططفات من كتاب الموعد الله

وهنا نلتقي بـ "أبي وايل شقيق بن سلمة" يقول:
"نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا!"
وهي عبارة تشير الدلش لا محالة من حيث الصياغة والتركيب فهل
يجوز لنا أن نقول عن الله سبحانه: "ما عصانا"؟.

وما نحن بكل أبرارنا وقديسينا، حتى يطيعنا الله أو حتى
يعصينا؟!

لكن أهل الله لهم لغتهم التي أذن لهم بها، ولهم أذواقهم
وأحساسهم.. ومن ثم تعبر اتهم التي تستمد من أبعد الأعمق وأرحب
الآفاق.

إنهم يعرفون كم يدلل الله عباده...!!
ألم يقل لهم:
"من أتاني يمشي، أتيته هرولة"؟

ويقدم "أبو بزید البسطامی" نفس الحقيقة في أسلوب أوضح
فيقول:

"إذا قلت يا رب أين الطريق إليك؟

جاءك النداء: خل نفسك، وتعالا"

فأهل الله هكذا يفكرون.. حين ت يريد أن تريه وجه الله، فمعنى ذلك
أن حظوظ نفسك وهواك لا يعني أن يعني لها في صداره حياتك بخل ولا
في خلفيتها وجود.

خل نفسك، وتعالا!

* * *

وكم من "مرید" خلى نفسه ومضى.. تخلى عن شهواته وآثامه
وخطاياه، وقطع شوطا طويلا في التطهير والتغيير، ولكن وهو على وشك
بلغ المشارف السعيدة للملائكة العظيم، إذا به يسقط صريع آفة لم
يفتح عليها بصيرته، ولم يشحد لها تصميمه، تلك هي - غرور الطاعة
والعبادة!!!

* * *

هنا قاصمة الظهر لا ريب فيها.. وهذا الغرور رغم ارتكانه على
ال العبادة، آية ما لازالت النفس تعصي به من خبث واستعلاء.

ولهذا الغرور وجهان: وجهه الأول رضاك عن نفسك والافتتان بما
تأتيه من عبادة ونسك.. ووجهه الثاني استعلاؤك على الآخرين بفضلك،
بل وتعيرهم بما معهم من قصور ومساويء.

ها هو ذا "أبو علي الهروي" رضي الله عنه وعنهما أجمعين يقول:
"أعرف أن كل طاعة رضيتها منك، فهى
عليك، وكل معصية غيرت بها أخالك، فهى
إليك" .

إن خطر رضاك عن نفسك في هذا المجال، أنك بهذا الرضا،
ومع تكراره واستمراره ست فقد الإحساس بالخطأ، ومن ثم تفقد حاسة
الاتجاه إلى الفضيلة والخير والصواب.

ولنصح لفلسفة "أهل الله" تجاه هذه القضية بقولها لنا "ابن القاسم"
فيقول:

"تعيرك أخاك بذنبه، أكبر إثما من ذنبه، ففي
تعيرك هذا، تبدو صولة الطاعة وتركية
النفس والمناداة عليها بالبراءة من الذنب .
ولعل انكسار الذي عبرته بذنبه، وإزراعه على
نفسه، وتخليصه مما أصابك من كبير وعجب
وادعاء، ووقفه بين يدي ربه ناكس الرأس
خاشع الطرف، منكسر القلب، افع له من
صلة طاعتك ومتلك بها على الله ."

"ألا ما أقرب هذا العاصي من رحمة الله !
وما أقرب ذلك المدل من مقت الله !
فذنب تُذَلُّ به لديه.. أحب من طاعة تُذَلُّ بها
عليه.
ولأن تبيت نائما، وتصبح نادما.. خير من أن
تبقي قائما، وتصبح معجبا، فإن المعجب
لا يصعد له عمل.
 وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن
تبكي وأنت مدل..

ولأن تبَتْ نائماً، وتصبح نادماً.. خير من أن
تبَتْ قائماً، وتصبح مهجماً، فإن المعجب
لا يحصل له عمل.

ويتقدم الإمام الجليل "أبو الحسن الشاذلي" رضى الله عنه ملخصاً
القضية في إيجاز بلغ فيقول:
"رب معصية أورثت دلا وانكساراً"
"خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً"

هذا هو "الربيع بن خيثم" واحد من كبار التابعين وكان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يراه إلا ويصبح:

"بشر المحبتيين"

ثم يقول له:

"لوراك رسول الله لأحبك"

هذا "الربيع" عليه رضوان الله، يطلب إليه أن يعظ الناس، فيكون

جوابه:

"ما أنا عن نفسي براض حتى أتحول

عن ذمها إلى ذم الناس"

"وما أريد أن أكون من قوم خافوا

الله في ذنوب الناس وأمنوا عذابه في

"ذنوبهم..."

ألا ما أعمقه .. وما آلقه !!.

هذا "إبراهيم التميمي" يقول:

"إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرية

الأولى، فاغسل يدي منه !!!

إن التكبيرية الأولى التي يدخل بها المصلى صلاته لا تحتاج إلى

عناء ولا إلى مكابدة.. ومع ذلك فإن "أهل الله" يفطرون لأهمية، بل

لحتمية الحضور الكامل قبل وأثناء أدائهم.. وأدنى افتقاد لهذا الحضور

يجعل صاحبه صفرًا .. "فاغسل يدك منه !!!".

هذا "يعسى بن أبي كثیر" يقول:
"لا تعجب من هلك كيف هلك ولكن
اعجب من نجا ، كيف نجا"!^{٩٩}
أجل.. هنا نلتقي بوحد من أهم مuttleقاتهم وأذكاها.. فمواقعة
الخطايا والتردى من مهالكها ، هما القاعدة.. والنجاة هي الأمر الذي لم
يعد مألفا..

"فالناس هلكى إلا العالمون
والعالمون هلكى إلا العاملون
والعاملون هلكى إلا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم!"

* * *

وهم في فرارهم النبيل من الخطايا والهفوات، لا يكادون يرون
لأعمالهم الصالحة مقاما.

فـ "سليمان التميمي" ذلك العابد الأواب، يقول له بعض أخواته:
 هبها لك ما وفقت إليه من طاعة وعمل صالح. فيكون جوابه:
 "لا تقولوا ذلك، فإني لا أدرى ما
 يبدو لي يوم القيمة من ربي.
 ألم تقرأوا قوله سبحانه: ﴿وَبِدَا لَهُمْ
 مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾".

فأعمالهم الصالحة - أولاً - لا فضل لهم فيها، لأن الله هو الذي
 وزقهم إياها وهذا لهم إلها واعانهم عليها.
 ثـم هي - ثانياً - صالحة بمقاييسهم هم وإحساسهم. أما بالنسبة
 للمعايير التي يتقبل الله بها الأفعال فلا يدرؤون ماذا تكون؟. وهذا
 فهموا الآية الكريمة، ثم زلزلوا بها زلزاً شديداً.
 ﴿وَبِدَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾

أما "العلاء بن زياد" فيبشر صاحبه بأنه رأى الليلة في منامه كأنه في
 الجنة، فيجيبه قائلاً:
 "ويحك!! أما وجد الشيطان من يسخر به
 غيري وغيرك"!!.

يقول "عبد الله التميمي" :

"شتان ما بين تائب يتوب من الزلات..

وتائب يتوب من الغفلات..

وتائب يتوب من رؤية الحسنات" ..

فهناك من يتوب من الذنب.. وهناك من لم يذنب، لكنه غفل بعض
الغفلة، فحق عليه أن يتوب!!.. وثالث لم يذنب ولم يغفل.. لكن قد مر به
لحظات رضا عن نفسه وشعوره بعبادته.. فهذا البار أيضا له توبة تناسب
مقامه.

فيقرر "سهل بن عبد الله" :

"التوبة ألا تنسى ذنبك"

الـ ٢٠

"إبراهيم التخعي" مرة أخرى، يوصي فيقول:
"جالسوا التوابين، فإنهم أرق الناس
قلويا.. ورحمة الله إليهم أقرب" ..

٦

١٣

٢٢

هذا إبراهيم الشعبي يدعو ويعلمنا أن ندعو قائلين:

"رب، إن نفسي لم ترحمني فارحمني.

رب، عافني منها، وعافها مني.

"رب، أصلحتي لها، وأصلحها لي."

يقول أبو حازم سلمة بن دينار :

"مثُل من يشكِّر الله بلسانه ولا يشكِّره

بطاعته، كمثل رجل له كساء أخذ

بأطراشه، ولم يكس به جميع جسمه.. فهل

يقيه ذلك من حر أو برد؟"

هذا جابر بن زيد يوصى فيقول:

"إذا جئت يوم الجمعة فقف على بباب

المسجد، وقل: اللهم اجعلنى اليوم أوجه من

توجه إليك، وأقرب من تقرب إليك، وأنجح

من دعاك وطلب منك".

وهنا ذلقي — "مالك بن أنس" رضي الله عنه يقول:
"إن لمن يسجد لله، ومن يسجد للصنم
صورة واحدة في سجودهما.. ومع ذلك،
فالأول عابد، والثاني كافر.. لقد فرق
بينهما الثبات".

إن نوايانا هي شخصياتنا الباطنة، فالنهاية الندية الصالحة تدلنا
على وجود قلب نقى صالح وراءها، والعكس قائم.

يقول محمد الباقر الإمام المرتضى:
"يا بني.. إياك والكسل والضجر، فإنهم
مفتاح كل شر، وإنك إذا كسلت، لم تؤد
حقيقاً، وإذا ضجرت، لم تصبر على حق".
أرأيتم عمق الرؤى، وbread الفهم، ودقة التعبير؟
إننا بالكسل، لا نؤدي حقاً ولا واجباً..
وإننا بالضجر لا نصبر على حق ولا على واجب..

يقول "إبراهيم بن أدهم":
"إذا أردت أن تقرب من درجة الصالحين:
• فاغلق باب الراحة، واقفتح باب الجهد
• وأغلق باب النوم، واقفتح باب السهر
• وأغلق باب الأمل، وتأهب للموت" ..

هكذا يحذثنا "عبد بن عمير" فيقول:
"كان لرجل ثلاثة أخلاع، نزلت به نازلة فبدأ
باقرب الثلاثة إلى نفسه يناشده العون فتنكر له
وتخلى عنه..
ثم ذهب إلى الثاني، فأمده بقليل من العون ثم
تركه..
ودذهب إلى الثالث، فهرب لتجده و قال له:
أنا معك حيث تذهب وأيان تكون..
فالأول، هو المال.. يخلفه الإنسان لأهله ولا
يتبعه منه شيء..
والثاني، هم الأهل والعشيرة والصحابـ.
يشيعونه إلى قبره، ثم يتركونه وحيداً..
والثالث، عمله الصالح، يبقى معه إلى يوم
البعث والنشور" !!

وهذا هو الريبع بن خيثم يصاب بالفالج، ولا يستطيع الانتقال إلى المسجد إلا بمشقة بالغة، وصلاته في بيته هي رخصة مرضه، بل ضرورة مرضه.. ومع ذلك يأبى إلا أن يخرج إلى المسجد يهادى بين رجالين. ويقول:

"إني لا أعلم أن الله يرخص لي بترك الجماعة في المسجد.. ولكنني أسمع المؤذن ينادي، حتى على الفلاح.. وجدير بهمن نودي إلى الفلاح أن يجيء ولو زحفا.. ولو حبوا" !!

وهم في مزاولتهم واجبات الدين وطاعة الله، تتنوع مشاريعهم، ففريق يغار ثم يغار على عبادته فيتكتمها ويخفيها، تحرياً لأنصاف درجات التبتل والإخلاص.

فهذا "منصور بن المعتمر" يقضى ليلاً أشعث أغبر، يصلى وبفرز ويبكي، فإذا أصبح وطلع النهار كحل عينيه، ودهن رأسه، ولبس أجمل ثيابه وخرج إلى الناس.. !!

وهذا "الريبع بن خيثم" كان عمله سراً كلـه، وإن كان الرجل ليقدم عليه، وقد نشر المصحف أمامه يقرأ منه، فلا يكاد يبصر القادم حتى يغطيه بثوبه!!

وهذا "زین العابدين، علی بن الحسین" كان من أكثر الناس
عطاءً، ومع ذلك كان سبب إمعانه في إخفاء قبرته وعطائه يرمي بالبعخل،
فلما مات عرف الناس فجأة أنه كان يقوت مائة بيت وأسرة في المدينة
وحدها.. وعرفوا أنه كان يحمل بنفسه وعلى كاهله وظهره أجربة الخبز
لتوزيعها في ظلمة الليل على المساكين !!

وتحدث المؤرخون أن أناساً من أهل المدينة كانوا يعيشون ولا
يدرون من أين يأتيهم معاشهم، ولا يعرفون من هذا الذي يطرق أبوابهم
بالليل حاملاً إليهم ما يحتاجون حتى مات "زین العابدين علی بن
الحسین حفید رسول الله" فلم يعد الطارق يطرق أبوابهم ولم تعد
الخيرات تحمل في جنح الليل إليهم. وهكذا قال قائل لهم:
ما فقدنا صدقة السرّ إلا يوم مات علی بن
الحسین

من أجل هذا، كانوا يخالفون الكلام حتى في العلم والبر، مخافة
أن تستدرجهم حلاوة الحديث إلى الزهو أو الرياء.

يقول "سعید بن فیروز":
لأن أكون في قوم أتعلم منهم، أحب إلى
من أن أكون في قوم أعلمهم !!!

يقول "أبو عبد الله بن أبي زكريا" :

"طلبت تعلم الكلام فادركت منه ما أردت،

وطلبت تعلم الصمت، فشق على ذلك !!"

ومع تعدد وجهات نظرهم في هذه القضية، جاء منهم من اكتشف
الوحدة الكامنة في التعدد الماثل:

ذلكم هو "بشر بن الحارث" الذي قال:

"إذا أعجبك الكلام، فاصمت وإذا

أعجبك الصمت، فتكلّم .

أجل.. فالمعنى كله ألا يكون حديثك، كما هو صمتك، تعبيراً
عن هوى مفتون، ونية غير صالحة.

٥.

يقول "محمد بن كعب القرطبي" :

"إذا أراد الله بعد خيراً رزقه خلاً ثلاثة:

فقها في الدين، وزهادة في الدنيا، ويصرأ

بعيوبه

ويتقدم "أبو مسلم الخولاني" ليقول لنا:
"العلماء ثلاثة.."

- عالم عاش بعلمه وعاش الناس معه..
- وعالم عاش بعلمه، ولم يعش الناس
معه..
- وعالم عاش الناس بعلمه وأهلك
نفسه ..

وهم في هذا، آخذون بقول الرسول ﷺ:

"رَبُّ فِيلْغٍ، هُوَ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"
يقول "زيد الرقاشي":
"خُدُوا الْكَلْمَةَ الطَّيِّبَةَ مَنْ قَالَهَا، وَإِنْ لَمْ
يُوفَقْ لِلْعَمَلِ بِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ
عِبَادَهُ الْمُحْسِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .."

فكلمات العلم الطيبة الهادية، خليقة بالحرص عليها واحتياط
فرصها المواتية دونها نظر إلى مصدرها.
فـ "الحكمة ضالة المؤمن، أني وجدتها أخذها".

هذا إمام من أنتمهم الكبار "عمر بن عبد العزيز" يقول:
"لو أن كل أمرىء لا يأمر بالمعروف ولا
ينهى عن المنكر حتى يلزم بذلك نفسه،
لما كان هناك أمر بالمعروف ولا نهى عن
المنكر، ولقل الواعظون والداعون لله
بالنصيحة .."

ويصبح مالك بن دينار قائلًا:
"يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في
قلوبكم؟ إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن
الغيث ربيع الأرض .."

أجل، صدق "المذر بن مالك" وصدق معه أهل الله العارفون،
فعند هذه الآية الكريمة بنتهي القدر وعندها يبدأ الفهم الصحيح
لقضيته.

فليبذل أهل الأرض جميـعا كل جهودـهم لإشقاء إنسـان يريد الله
إسعادـه، فالنتيـجة معروـفة ولا شـك فيها، تؤكـدـها الآية الفاـصلة (إن رـيك
فعـالـ لـمـا يـرـيدـ) !!

ولـيـذـلـ الطـبـ كلـ مـعـجزـاتـهـ لإـنقـاذـ حـيـاةـ منـ الموـتـ، قدـ جـاءـ عـنـدـ
الـلـهـ أـجـلـهاـ. فـالـمـصـبـيرـ مـعـرـوفـ (إن رـيكـ فـعـالـ لـمـا يـرـيدـ) !!

هـاـ هـوـ ذـاـ إـبـرـاهـيمـ النـحـعـيـ يـجـيـهـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـينـ الفـ درـهـمـ،
فـيـتـصـدـقـ بـهـاـ جـمـيـعاـ .. فـيـقـالـ لـهـ: لـوـ اـدـخـرـتـ هـنـهـ لـوـلـدـكـ فـيـقـولـ:

"لـقـدـ اـدـخـرـتـهاـ لـنـفـسـيـ وـاـدـخـرـتـ اللـهـ
لـوـلـدـيـ" !!

وـلـقـدـ اـسـتـجـابـ اللـهـ لـحـسـنـ ظـنـهـ بـهـ وـيـقـيـنـهـ .. فـلـمـ يـكـنـ فـيـ النـاسـ يـوـمـئـذـ
أـكـثـرـ ثـرـاءـ وـسـعـادـةـ مـنـ أـوـلـادـهـ..

هذا "يونس بن عبيد" يقصده رجل شاكيًا فقره وحاله، فيسأله

"يونس":

- "أيسرك أن يذهب بصرك وتعطى مائة ألف"؟

يقول الرجل: لا ..

- "أيسرك أن يذهب سمعك، وتعطى مائة ألف"؟

يقول الرجل: لا ..

- "أيسرك أن تذهب يداك ورجلاتك وتعطى مائة ألف"؟

- "أيسرك أن يذهب عقلك ولسانك وتعطى مائة ألف"؟

يقول الرجل: لا ...

وهنا ضحك "يونس" وقال للرجل:

- "أنظر - إذن - كم معك من مئات الآلوف وأنت تشكو الحاجة"!!

يقول مالك بن دينار :

"خرج جابر بن زيد - وهو من إخوان

مالك في الله - يوما فمر بحقيقة،

فاحتلوشه كلابها، فأخذ قصبة من حائط

وجعل يطرد بها الكلاب، ولما وصل داره

قال لأهله: احتفظوا بهذه القصبة حتى

أردها غدا إلى مكانها.

فقالوا: سبحان الله يا أبا الشعفاء، ما

يبلغ الأمر بقصبة؟..

فقال: لو أن كل من مر بهذا المحافظ أخذ

منه قصبة ما بقى منه شيء" !!

ويقول "إبراهيم النخعي" :

"من حسن الله صورته، ووسع رزقه، ويوأه
منصبا صالحا.. ثم أدى حق الله في كل
هذا وتواضع، كان من خاصة أهل الله"

وليوضحوا كذلك في غبطة مع "الحجاج بن الفرافصة الباهلي"
الذى يقف فى السوق عند أصحاب الفاكهة، فـيـسـأـلـ ما تـصـنـعـ؟ فـيـقـولـ
مشيرا إلى الفاكهة:
"أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة"
مشيرا بذلك إلى فاكهة الجنة التى أعدها الله للمتقين من عباده،
والتي وصفها القرآن الكريم فقال:
﴿لا مقطوعةٌ ولا متوترةٌ﴾

ولنطالع هذا النبأ وبطله صفوان بن سليم :

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وأم
مسجدها فرأى في زاوية من المسجد
رجلًا يصلّى، فبهروء سمعته فسأل عنه، فقيل
له: إنه صفوان بن سليم.
فأمر تابعه أن يذهب إليه بكيس فيه
خمسة دينار
ووقف التابع بعطاء الخليفة أمام صفوان
وقال له: إن أمير المؤمنين يرسل إليك
هذه.

فعجب صفوان وقال له: لقد أخطأت يا
ولدي لست أنا الذي أرسلك إلينا..
قال التابع: أو لست صفوان بن سليم؟ لقد
أشار بيده نحوك وسماك لى باسمك؟
قال صفوان: إذن فاذهب واستوثق منه هرة
أخرى..

وعاد التابع حرب الخليفة الجالس هناك
في ركن قصى من المسجد..
وعندئذ تسلل صفوان من المسجد،
واختفى من المدينة كلها.. ولم يظهر بسها
إلا بعد أن غادرها الخليفة سليمان !!

هذا " يحيى بن أبي كثير " يقول
" ست خصال من كن فيه، فقد استكمل

الإيمان:

- قتال أعداء الله بالسيف..
- والصيام في الصيف..
- وإساغ الوضوء في اليوم الثاني..
- والتبرك إلى الصلوة في اليوم المطير
- وترك الجدال والمراء، والحق معك
- والصبر على المصيبة

مسيرتهم المباركة.. وإلى الله العلي الكبير ينتهي مسراهم ومعراجهم
ولو أردنا أن نلخص حياتهم ومنهجهم في عبارة واحدة لكانـت التجرد
للله..

والتجـرد عندـهم، يعني تـكـرـيس كلـ ما معـهـم من رـوح وـجـسـد،
وـجـهـد وـوقـت لـعـبـادـة الله وـمـنـاجـاتـه.. كما يـعنـي معـ التـكـرـيس طـرـح النـفـس
وـقـنـاع حـظـوظـها..
يـقول " ابن الـقيـم " :

" صـاحـبـ التـجـرـدـ، لا يـسـتـغـنىـ إـلاـ بـالـلـهـ، ولا
يـفـتـقـرـ إـلاـ إـلـىـ اللـهـ.. لا يـفـرـحـ إـلاـ بـمـرـضـةـ
الـلـهـ، ولا يـحـزـنـ إـلاـ عـلـىـ مـاـ فـاتـهـ مـنـ اللـهـ.. ولا
يـخـافـ إـلاـ مـنـ سـقـوـطـهـ فـيـ عـيـنـ اللـهـ".

يقول الجبید :

"التصوف، أَنْ يُمْتَكِّنُ الْحَقُّ عَنْكَ،

"وَيُحَيِّلُكَ بِهِ ..

ويقول "سمنو" :

"التصوف، أَلَا تَمْلِكُ شَيْئاً، وَلَا يَمْلِكُكَ

"شَيْءٌ

يقول "ذو النون المصري" :

"عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي.. وَلَوْلَا رَبِّي مَا عَرَفْتَ

"رَبِّي ..

فَاللهُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ، وَهُوَ وَحْدَهُ تَدْرِكُ الغَایَاتِ.

يقول "ميمون بن مهران" :

".. يَقُولُ أَحَدُهُمْ : اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ،

وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ، وَانْظُرْ هَلْ يَأْتِيكَ

رِزْقُكَ؟ ..

"نعم وَاللهِ، لِيَأْتِينِي رِزْقُهُ وَلَوْ أَغْلَقْ عَلَيْهِ بَابَهُ

وَأَرْخَى سُطْرَهُ، إِذَا كَانَ مَعَهُ مُثْلِ يَقِينِ

"مَرِيمٍ" وَ "إِبْرَاهِيمَ" عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..

إن لهم في هذا المضمار أسوة حسنة بالرسول الكريم الذي يقول:

"إذا هرولتم برباض الجنة فارتعوا .

قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله؟

قال: مجالس المذكر .

يقول "الكتاني" :

"الغافلون، يعيشون في حلم الله.

والذاكرون، يعيشون في رحمة الله.

والعارفون، يعيشون في لطف الله.

والصادقون، يعيشون في قرب الله."

فذكر الله إذن ينقل المؤمن من عالم ما قبله إلى عالم ما بعده.. من عالم حلم الله عنك، إلى عالم رحمته ولطفه، وحبه وقربه.. من عالم الغفلة.. إلى عالم الذكر، فالمعرفة، فالصدق..

وعندما نادى الله عباده قائلاً :

"فاذكروني ، أذكريكم"

وضع الذكر والذاكرين في أعلى منازل القربات والمقربين ..

وبالنسبة للناس، يرى "أهل الله" في الذاكرين حرس الحياة
يقول "عون بن عبد الله" :

"ذاكر الله في غفلة الناس، كالرجل
القوى الذي يظهر في الفئة المنهزمة،
فيمنحها التماسك والثبات، ولو لـ
لدا مت هزيمتها .

كذلك من يذكر الله في غفلة من الناس،
لو لا لهلك الناس !!!..

إن "أهل الله" يذكرون الحديث القديسي ويذكرون به.. الحديث
الذي يحكى قول الله سبحانه:

"أنا جليس من ذكرني !!"

هذا الميزان الذي لا ميزان مثله، ولا ميزان يعلمه ..

حين تذكر الله فالله جليسك .. يا للرهبة التي تذيب الصخر .. ويا
للجلال الذي يدك العجائب دكا !!

فقط لما سمعوا عن نبيهم الذي اصطفاه الله واجبه أنك كان داير
اللهم بهذا الدعاء:

"يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك"

حتى إذا سُئل عن سر الحاجة بهذا الدعاء ، قال:
"إن القلوب بين اصبعين من أصابع
الرحمن ، يقلبها كيف يشاء .."

وكما ينهض الذكر لديهم معيارا لاستقامة الضمير والمسير ..
فكذلكم الصلاة ..

هذا "أبو العالية" يقول:

"إني لأرحل إلى العالم مسيرة أيام ، فأول
ما أفقد من أمره صلاته ، فإن وجدته
يقيمه ويتمها أقتطعت عنه وسمعت منه ،
وإن وجدتني يضيعها رجعت ولم أسمع منه
وقلت لنفسي: هو لغير الصلاة أضيع" ॥

يقول "أبو بكر بن العربي":
"أني لا أعرف من الذين يحافظون على
الصلوة آلاً فا أحصيهم..
أما الذين يحفظونها فلا أجدهم
خمسة"!

يقول ثابت البناي :
"كابدت الصلاة عشرين سنة
واستمتعت بها عشرين سنة"!!

هذا هو "زراة بن أوفى" يصلى الناس صلاة الفجر، فيقرأ بعد
الفاتحة. سورة "المدثر" ويفنى في جلال الصلاة ورعبتها، حتى إذا
وصل في تلاوته إلى الآيات الكريمة:

(فَإِذَا نُقْرِ في النَّاقُورِ . فَذلِكَ يوْمٌ مُّبِينٌ
غَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يُسِيرٍ)

تسحقه الرهبة الجليلة، فيسقط من قوته ميتاً وشهيداً !!!

وهذا هو منصور بن المعتمر كانوا يقولون عنه:
"لو رأيت منصوراً، وهو يصلى، لقلت:
يموت الساعة !!".

ولقد كانت أبنة جار له تبصر في هربيع الليل شيئاً يشبه الخشبة المنصوبة فوق سطح دار "منصور" .. وذات ليلة أرسلت بصرها حيث تعودت أن ترى ذلك الشيء الذي حسبته خشبة فلم تجده مكانه فسألت أباها :

- أين الخشبة التي كنت أراها كل ليلة منصوبة فوق سطح "منصور"؟.

فأجابها أبوها:
- "يا بنتي ..
ـ ذاك "منصور" نفسه، يقوم الليل مصلياً" !!.

فـ "عمرو بن عتبة" يقف في ظلام الليل وهذا شئه يصلى، ويسمع أصحابه القائمون إلى جواره في الفضاء المكشوف زثير أسد يقترب، فيبولون هاربين.. ويستمر "عمرو" في صلاته لا يهتز ولا يختلج.. ويقترب منه الأسد، ويطوف حوله ويتشمم ويحملق.. وـ "عمرو بن عتبة" كأنه غير موجود.. وينصرف عنه الأسد في سلام، ويعود أصحابه فيسألونه بعد أن أتم صلاته:
ـ أما خفت الأسد؟ .. فيجيبهم:

"أني لاستحي من الله أن أخاف شيئاً
سواء وأنا بين يديه" !